

رسالة ملكية إلى الحجاج المغاربة(1)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

حجاجنا الميامين

لقد منّ الله عليكم وآتاكم من فضله، فأدخلكم في زمرة من لبى النداء السلام «وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات».

لقد منّ الله عليكم وآتاكم من فضله، فأدخلكم في زمرة من لبّى النداء الخالد، وهداكم إلى القيام بشعائر الحج، ويسر لكم أسباب أداء هذه الفريضة التي تستكمل بأدائها على الوجه المطلوب فرائض العقيدة الإسلامية وأركان الدين الحنيف، ويتيسر الفوز برضوان الله، والظفر بسعادة الدارين.

إن البقاع التي تشدون إليها الرحال، وتنيطون بزيارتها أغلى الآمال، لهي أشرف البقاع وأقدس المقامات، ففي تلك الرحاب المباركة التي أكرمها الله بفضل اختياره، وأولاها الله جليل اصطفائه، تألقت الهداية الإسلامية وانطلقت الدعوة المحمدية، مبشرة ومنذرة دالة على الطريق المستقيم الموعود بالثواب، ومحذرة من الضلال المفضي إلى العقاب.

ولم تكن سبل الدعوة المحمدية سهلة ولا ميسورة، فقد واجهتها عقبات وتصدت لها عراقيل وصعوبات، واستهدفتها محاولات كانت ترمي إلى إيقاف تيارها واستئصال آثارها لأنها دعوة قوامها تقويض العقائد الفاسدة والعادات الموروثة التي لا تأوي إلى ركن صحيح من التدبر والإستبصار ولا تتفق والقيم السليمة والأخلاق الفاضلة، ولأنها دعوة أهابت بالضمائر الحية والالباب والبصائر، وأوضحت للعالمين أن هدى الله هو الهدى، وأن السلامة في ركوب محجته البيضاء وصراطه المستقيم، باتباع الحق الصريح الذي لا يتنكر له إلا المكابرون الموثرون لأهوائهم وشهواتهم، وباجتناب الباطل الذي لا يستهوي إلا النفوس المريضة والضمائر المدخولة،

وخوصمت أول ظهورها أعنف خصام، وحوربت أشرس محاربة، ولكن الله الذي أرادها فاتحة لأعظم عهد من عهود الإنسانية ومنطلقاً لأكبر وأبلغ تحول بشري هيأ لانتشارها أسباب النجاح، ويسر لانتصارها واستتبابها سبل الفوز المبين، والعز المكين، فامتلأت بأنوار الدين الأغر الأسمح العوالم والأكوان، ولم تمض إلا سنوات معدودات على انطلاق الدعوة الإسلامية وتألق فجرها حتى أصبح للإسلام قدم راسخة، وسلطان قوي في قلوب الشعوب والأمم التي أخذ الله بأيديها إلى نور المعرفة، وأثلج صدورها بثلج اليقين، وأكرمها بفضيلة الإيمان، وما لبث المسلمون أن طار صيتهم في أرجاء الدنيا وعلت كلمتهم بين الأنام بما أشاعوه من مبادىء وأخلاق، وأذاعوه من علم وعرفان، وأسسوه من حضارة، وبذلوه للإنسانية من جزيل العطاء ونافع الهبات.

فإلى هذه الصلة الإسلامية المحجلة الغراء، وإلى هذا الدين السمح الحنيف تنتسبون أيها الحجاج، ومن أولائك الذين ملأوا الأرض حكمة وعلماً، ونضروا وجه الإنسانية تنحدرون وإليهم تنتمون، ونحو تلك البقاع

(1) ألقاها بأمر من جلالة الملك بمطار سلا السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

الطاهرة التي شهدت مولد الرسول الأعظم مثلما شهدت اختصاص الله له بالوحي و تأييده له بمعجزة القرآن تقصدون وتتجهون، تبتغون فضلا من الله ورضوانا.

فاحمدوا الله على ما أجزل لكم من نعماء، وأسبغ عليكم من رعاية حمداً لا ينقطع ولا يبلى، وسبحوا له بالغدو والآصال تسبيحاً تستديمون به جميل حياطته ورعايته وتوفيقه وهدايته.

واحرصوا، أمنكم الله، على أن تستفيدوا من أداء ما فرض الله عليكم من فريضة الحج، والقيام بشعائر دينكم على الوجه الذي يكفل لكم رضا خالقكم وبارئكم.

وستلاقون في البقاع المقدسة التي أنتم عليها مقبلون إخواناً لكم من أقطار شتى، وشعوب إسلامية كثيرة، قاصدين إلى ما أنتم إليه قاصدون، مؤملين الثواب العظيم الذي أنتم فيه راغبون وله عاملون، فألقوهم وعاشروهم معاشرة المسلم لأخيه، واربطوا ما بينكم وبينهم بأوثق الصلات، واجتمعوا وإياهم على جميل المودة والإخاء واعلموا أنكم تنتمون إلى وطن أعرقت أمجاده، وتأصلت عاداته وتقاليده، فليكن تصرفكم عاكساً لما درجتم عليه من حضارة ونشأتم عليه من فضائل وشمائل، وكونوا قدوة حسنة للمقتدين ومثالا محموداً للمحتذين، وخلفوا عنكم أجمل الذكريات، واطبعوا في النفوس أبقى الصور وأروع الإنطباعات، فإنكم إن فعلتم ذلك ولاشك أنكم فاعلون، غنمتم إن شاء الله محبة الناس واستأهلتهم رضوان خالقكم واستمتعتم بارتياح عاهلكم.

وابتهلوا إلى الله في اتجاهكم إلى العلي القدير بخالص الدعاء وخاشع الرجاء أن يكلأ الباري عز وجل عاهلكم بكامل حفظه ورعايته، ويحرس ولي عهده بشامل حياطته وعنايته، ويبقى عرش بلادكم عزيز الجانب، واسع الجاه، موفور الكرامة، بعيد الذكر والصيت ويكتب لأعمالنا التوفيق والرشاد، ويقود خطانا على محجة الصواب والسداد بفضله وطوله ومنّه وعونه.

ولا تنسوا وأنتم في مقام الضراعة والخشوع أن تسألوا الله التئام الشمل بصحرائنا المغتصبة، واكتمال وحدة التراب بأراضينا المستلبة، وجلاء الإستعمار وانتكاس أعلامه وانهيار سلطانه، واذكروا وأنتم ضارعون إلى الله، خاشعون سائلون راجون أن يهب المسلمين كافة السند القويّ والمدد الذي تفيض ولا تنضب روافده، والنصر الذي يكفل لهم استرجاع حقوقهم المسلوبة، والظفر الذي يعيد إليهم أولى القبلتين، وثالث الحرمين والهداية التي ترد كيد الكائدين وتبطل عدوان المعتدين «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين».

هنيئاً لكم ما وفقتم إليه من حج وما هديتم إليه من سعي، والله المسؤول أن يصلح أحوالكم، ويكتب السلامة لكم في حلكم وترحالكم، ومتقلبكم ومثواكم، ويعيدكم بمشيئته عز وجل إلى وطنكم، وقد استمرأتم المقام بتلك المشارف الطاهرة، والبقاع المقدسة وغنمتم الأجر والمثوبة والفوز والرضوان.

(ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا. ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة، إنك لا تُخلف الميعاد).

صدق الله العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله.

السبت 15 ذي القعدة 1394 — 30 نونبر 1974